

## مظاهر الإعجاز القرآني في الرسم العثماني

فاطمة ممدوح محمد حسين بكير\*

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، تحدى به العرب، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فتحداهم الله سبحانه وتعالى في جنس ما برعوا فيه. وقد عكف العلماء القدامى والمحدثون على الغوص في درره، واستخراج كنوزه، ووقف الكثيرون منهم على الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، بينما جنح آخرون إلى كشف اللثام عن الإعجاز العلمي له، وندر من تحدث عن إعجاز رسمه وكتابه. فأردت أن أسهم بلبنة جديدة في صرح المكتبة الإسلامية، لعلها تكون نافعة للقراء وطلبة العلم، وذخرا لي يوم ألقى الله رب العالمين.

هذا، والرسم العثماني توقيفي من عند الله سبحانه وتعالى، أوحى الله به إلى جبريل عليه السلام، وأوحاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر النبي عليه السلام كتاب الوحي أن يكتبوه بهذا الرسم، وسأسرد الأدلة على كون الرسم العثماني توقيفا في المبحث الأول من هذا البحث.

والمتأمل في الرسم العثماني يلاحظ أن له ظواهر تختلف عن الرسم الإملائي المتعارف عليه، وهذه الظواهر لها توجيهات إعجازية تكشف عن الأسرار الإلهية التي تربط مبنى الرسم العثماني بمعناه، وتوضح العلاقة بين طريقة رسم الكلمة وسياق الآية ومعناها.

والمستقرئ لمصادر الرسم العثماني ومراجعته يلاحظ أن المصادر لم تنص على عدد تلك الظواهر، بل ذكرتها متفرقة ومثلت لها، وذلك كالمقنع للداني (ت ٤٤٤هـ)، وعقيلة أتراب القصائد للشاطبي

\* مدرسة الدراسات الإسلامية بكلية البنات، جامعة عين شمس، مصر.

(ت ٥٩٠هـ)، ومورد الظمآن للخراز (ت ٧١٨هـ) وغيرها، بينما ذكرت المراجع الحديثة أن للرسم العثماني ست قواعد وهي: الزيادة والحذف، والبدل، والفصل والوصل، والمهمز، واستيعاب اللفظ لأكثر من قراءة، كما نص على ذلك الضباع في سميير الطالبين، والشنقيطي في إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام<sup>(١)</sup>، وغيرها.

وقد ذهبوا إلى أن تلك القواعد الست هي التي خالف فيها الرسم العثماني الرسم القياسي (الإملائي).

وقد أرى استبدال مصطلح "قواعد الرسم العثماني" بمصطلح "ظواهر الرسم العثماني"، فالرسم العثماني توقيفي من الله سبحانه وتعالى وبه ظواهر تستحق الدراسة، للكشف عن أسرارها، ومصطلح "القواعد" يوهم بأن الرسم اجتهادي، ووضعت قواعد ست سار عليها الصحابة في الكتابة. والناظر في تلك الظواهر يجد أنها على نوعين: فمنها ما خالف فيه الرسم العثماني الرسم الإملائي، كما نص على ذلك المحدثون، ومنها ما تعدد مبناه داخل الرسم العثماني ذاته.

وهذه الظواهر ليست منحصرة في ست ظواهر بل هي أكثر من ذلك، كما سيتضح في هذا البحث. ومن هنا قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأدلة على كون الرسم العثماني توقيفياً.

المبحث الثاني: أثر اختلاف الرسم العثماني عن الرسم الإملائي في معنى الآية.

المبحث الثالث: أثر تعدد مبنى اللفظ الواحد في الرسم العثماني في معاني الآيات.

والأمثلة على ظواهر الرسم العثماني تحتاج في حصرها وتوجيهها إلى مجلدات، لذلك حرصت على تضمين هذا البحث جميع الظواهر، والاقتصار على بعض الأمثلة لكل ظاهرة، مع الاقتصار على الظواهر التي توضح العلاقة بين المبنى والمعنى، لذا تركت ظاهرة: "استيعاب اللفظ لأكثر من قراءة".

المبحث الأول: الأدلة على كون الرسم العثماني توقيفياً

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الرسم العثماني توقيفي من الله سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>، أوحى به إلى جبريل

١- انظر: علي محمد الضباع، سميير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ص ٤٩، محمد حبيب الله بن عبدالله الشنقيطي، إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام عثمان ابن عفان رضي الله عنه، مكتبة المعرفة، حمص، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ط ٢، ص ٤١.

٢- انظر: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١٣، =

عليه السلام وأوحاه جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر النبي عليه السلام كُتِّب الوحي أن يكتبوه بهذا الرسم. واستدل جمهور الفقهاء على ما ذهبوا إليه بالأدلة التالية:

#### أولاً: السنة التقريبية

حيث كتب كُتِّب الوحي القرآن كاملاً بالرسم العثماني بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على كتابتهم.

#### ثانياً: السنة الفعلية والقولية

حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يملي على كُتِّب الوحي، ويرشدهم في كتابة القرآن بالرسم العثماني.

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء<sup>(٣)</sup> شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان<sup>(٤)</sup>، ثم سري عنه، فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة، فأكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن، وحتى أقول لا أمشي على رجلي أبداً، فإذا فرغت قال: "أقرأه" فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس"<sup>(٥)</sup>.

---

= ص ٣٥٢، وابن حجر الهيتمي، الفتاوى الفقهية الكبرى، دار الفكر، ج ١، ص ٣٨، ومحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ١، ص ٣١٦. وانظر: أبو داود سليمان بن نجاح، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، تحقيق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ١، ص ٢٠٠-٢٣٠، وشعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، دار السلام للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٦٣-٨٥، محمد محمد محمد سالم محيسن، الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٥٨-٦٩.

٣- البرحاء: الحمى الشديدة. انظر: محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ج ٢، ص ٤١٠، مادة "برح".

٤- الجمان: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. انظر: لسان العرب، ج ١٣، ص ٩٢، مادة "جمن".

٥- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ ج ٢، ص ٢٥٧. وانظر: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ج ٥، ص ١٤٢. وهو حديث صحيح، ورجاله موثوقون. انظر: علي بن أبي بكر الهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربي، القاهرة وبيروت، ١٤٠٧هـ ج ١، ص ١٥٢، ج ٨، ص ٢٥٧.

والشاهد في الحديث قول زيد بن ثابت رضي الله عنه: "فأكتب وهو يملي علي... فإذا فرغت قال: "اقرأه" فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه".

#### ثالثاً: فعل الصحابة

حيث إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما تولى الخلافة، وأمر بجمع القرآن، كتبه الكتبة بالرسم العثماني، وهو الرسم الذي كتب به القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم. ولما تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة أمر بنسخ المصاحف من صحف أبي بكر على هذا الرسم.

#### رابعاً: الإجماع

فقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على الرسم العثماني وهم اثنا عشر ألف صحابي لم يشذ منهم واحد، وإجماعهم حجة. وكذلك أجمع التابعون والأئمة المجتهدون وأئمة القراء وعلماء الأمة على هذا الرسم، وتلقت الأمة هذا الإجماع بالقبول، وأجمعت على الرسم العثماني.

وفي العصر الحديث نجد المجامع الفقهية: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، والمجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. قد أصدرت قراراتها بأن الرسم العثماني توقيفي، وأنه يحرم كتابة المصحف بغير الرسم العثماني، وهذه المجامع تمثل إجماع علماء الأمة حديثاً.

بينما ذهب القاضي الباقلاني في كتابه الانتصار، وكذلك ابن خلدون في مقدمته إلى أن الرسم العثماني اجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم وليس توقيفياً<sup>(٦)</sup>، وقد خالفوا في ذلك السنة (القولية والفعلية والتقريرية)، وفعل الصحابة، والإجماع، ولم يستندا إلى دليل يعضد رأيها، فلا يعول على ما ذهبوا إليه.

#### المبحث الثاني: أثر اختلاف الرسم العثماني عن الرسم الإملائي في معنى الآية

ثمة ظواهر للرسم العثماني تميّزه عن الرسم الإملائي وهي: الحذف والزيادة والبدل والمهمز:

#### أولاً: ظاهرة الحذف

وتتضمن حذف الألف والواو والياء:

٦- انظر: القاضي أبوبكر بن الطيب الباقلاني، الانتصار للقرآن، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج ٢، ص ٥٤٧-٥٤٩، وعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٤١٩. وانظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٦٣.

## أ- حذف الألف

والمتمامل في الألفات المحذوفة في الرسم العثماني يجدها قد حذفت للدلالة على معنى محدد، فقد تحذف الألف من الأفعال تارة للدلالة على أنها ليست محسوسة بل معنوية، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، أي: سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب الرسل، فالسعي هنا معنوي وليس حسيًا، لذا حذفت الألف بعد واو الجماعة من الفعل "سعوا" للدلالة على ذلك.

وفي حذف الألف هنا إشارة إلى أنه سعي في غير الحق، وأنهم لن يصلوا منه إلى مرادهم. وتارة أخرى يأتي حذف هذه الألف للدلالة على الوهم ومخالفة الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾<sup>(٨)</sup> فالسحر أمر وهمي مجاف للحقيقة، لذا رسم الفعل "جاءوا" بدون ألف. ورسم الفعل على هذه الهيئة غير المعهودة به دلالة على أن المجيء به لون من التصنع والزور<sup>(٩)</sup>. وقد تحذف من الأسماء للدلالة على اشتغال الاسم على معان كثيرة باطنة غير ظاهرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَتِ﴾<sup>(١٠)</sup>، فالقانت هو القائم بالطاعة المداوم عليها، وهذا يتضمن معاني كثيرة خفية<sup>(١١)</sup>.

وكما حذفت الألف من الأفعال والأسماء حذفت أيضًا من الحروف، فقد حذفت من هاء التنبيه اختصارًا للدلالة على استغراق المنادى بجميع أجزائه في النداء والتنبيه، تأمل قول الله تعالى: ﴿وَقُوبُوا إِلَى اللَّهِ

٧- سورة سبأ، الآية: ٥.

٨- سورة الأعراف، الآية: ١١٦.

٩- انظر: أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق: هند شليبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٥٨، ٥٩، وأبو محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي، التبيان في شرح مورد الظمان، تحقيق: عبد الحفيظ بن محمد نور بن عمر الهندي، رسالة ماجستير بقسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ج ١، ص ٨٢، وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج ٣، ص ٥٢٦، ومحمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض، ط ٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٣٥٧.

١٠- سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

١١- انظر: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٣، ص ٥٤٧، والمراكشي، عنوان الدليل، ص ٦٨.

بِجَمِيعِ آيَةِ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿١٢﴾، فقد حذفت الألف من هاء التنبيه: ﴿آيَةُ﴾ للدلالة على اشتغال النداء والتنبيه لجميع المؤمنين (١٣).

#### ب- حذف الواو

وهي ظاهرة لفتت أنظار العلماء وعللوا لها. فنجدها في عدة مواضع قد حذفت من غير جازم، اكتفاء بالضممة قبلها، وذلك لسرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وسرعة وشدة قبول المفعول به. تأمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ (١٤)، وقوله: ﴿وَيَمَّحُ اللَّهُ الْبَطِلَ﴾ (١٥)، وقوله: ﴿سَدَّعُ الزَّبَانَةَ﴾ (١٦) تجد أن الأفعال: وردت بدون واو.

فالفعل ﴿يَدْعُ﴾ في سورة القمر حذفت منه الواو للدلالة على سرعة الدعاء من الملك الموكل بذلك، وسرعة إجابة الداعين للبعث يوم القيامة، بينما حذفت الواو من الفعل ﴿وَيَمَّحُ﴾ في سورة الشورى علامة على سرعة المحو وقبول الباطل له بسرعة.

أما حذفها من الفعل ﴿سَدَّعُ﴾ في سورة العلق فسرعة الفعل، وسرعة إجابة الزبانية، وقوة البطش، وكذلك لأن الفعل الذي سبقه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧)، فثم تطابق لفظي بين المتجاورين، وهنا إشارة إلى أن إجابة الزبانية أسرع من إجابة أهل ناديه (١٨).

#### ج- حذف الياء

وقد حذفت الياء في مواضع في الرسم العثماني، اكتفاء بالكسرة قبلها، للفت الانتباه إلى معان خفية

- 
- ١٢- سورة النور، الآية: ٣١.
- ١٣- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٧٤، ٧٥، وحسن عبد الجليل عبد الرحيم العبادلة، توجيهات الداني لظواهر الرسم القرآني، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٥، العدد الأول، يناير ٢٠٠٧ م، ص ٦٠.
- ١٤- سورة القمر، الآية: ٦.
- ١٥- سورة الشورى، الآية: ٢٤.
- ١٦- سورة العلق، الآية: ١٨.
- ١٧- سورة العلق، الآية: ١٧.
- ١٨- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٨٨، ٨٩، والصنهاجي، التبيان في شرح مورد الظمان، ج ١، ص ٩٣. وأبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢٧، ص ٧٩، ٨٠، والزرقاني، مناهل العرفان، ج ١، ص ٢٥٩، وأبو شهبه، المدخل، ص ٣٥٤.

اشتملت عليها تلك الألفاظ القرآنية، سواء أكانت تلك الألفاظ أسماء أم أفعالا، فحذف الياء التي هي لام الفعل في الكلمة فيه دلالة على أن اللفظ معقول غير محسوس، أو أنه من الغيبيات المتعلقة بالدار الآخرة.

انظر قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾<sup>(١٩)</sup> فالاسم: ﴿الدَّاعِ﴾ يكتب في الرسم الإملائي بياء هكذا: "الداعي" إلا أنها حذفت هنا دلالة على شدة إخلاص الداعي في دعائه، فقلبه متعلق بالدار الآخرة، وليس بالدنيا، فإذا كان الداعي على هذه الحالة الحسنة كان له وعد من الله تعالى بإجابة دعائه<sup>(٢٠)</sup>.

وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذِيهِ﴾<sup>(٢١)</sup>، فالفعل: ﴿يَأْتِ﴾ الأصل أن يكتب هكذا: "يأتي" بياء، إلا أن تلك الياء قد حذفت في هذه الآية، لأن معناها متعلق بالآخرة، فحينما يأتي يوم القيامة لا تتحدث نفس إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، ولا تنطق إلا بما أذن لها من الكلام فحسب<sup>(٢٢)</sup>.

#### ثانياً: ظاهرة الزيادة

وهي من الظواهر البارزة التي تميز الرسم العثماني عن الرسم الإملائي، وتتضمن هذه الظاهرة زيادة الألف والواو والياء أيضاً كظاهرة الحذف.

#### زيادة الألف

ثمة مواضع عدة زيدت فيها الألف لأسرار بديعة تختلف من موضع لآخر، قال تعالى: ﴿لَأَعَذَّبَنَّكَ عَبْدًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾<sup>(٢٣)</sup>، زيدت الألف في كلمة: ﴿لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ للدلالة على أن هذا الفعل أشد وأثقل من الفعل الذي قبله: ﴿لَأَعَذَّبَنَّكَ﴾، فالذبح أصعب وأسوأ من العذاب<sup>(٢٤)</sup>.

- 
- ١٩- سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
- ٢٠- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٩٧، وأبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١م، ج ١، ص ٤٠٢.
- ٢١- سورة هود، الآية: ١٠٥.
- ٢٢- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٩٧، والزركشي، البرهان، ج ١، ص ٤٠٢، ومحمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ج ٢، ص ٥٢٤.
- ٢٣- سورة النمل، الآية: ٢١.
- ٢٤- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٥٦، وشهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج ١، ص ٢٨٦، ٢٨٧.

## زيادة الواو

وكما زيدت الألف في مواضع زيدت أيضًا الواو في عدة مواضع، للدلالة على معان دقيقة تتباين من موضع لآخر، تأمل قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَنَاقِينَ﴾<sup>(٢٥)</sup>، فقد زيدت الواو في قوله: ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ للدلالة على ظهور الفعل للعيان أكمل ما يكون، فقد جاءت الآية للتهديد والوعيد<sup>(٢٦)</sup>، والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى قد هدد وتوعد كفار قريش بالهلاك، كما أهلك الأمم السابقة التي كذبت رسلها<sup>(٢٧)</sup>.  
وكي يكون هذا التهديد والوعيد واضحا للعيان أكمل ما يكون، جاء ذلك من خلال رؤية ديار الأقسام السابقة التي أهلكت رأي العين، وتعبيرا عن هذا الوضوح في الرؤية زيدت الواو في لفظ: ﴿سَأُورِيكُمْ﴾، ليتسق المعنى مع المبنى.

## زيادة الياء

أما عن الياء فقد زيدت هي الأخرى في مواضع متعددة، يختلف سر زيادتها من موضع لآخر كما بيّنا في زيادة الألف والواو.

تأمل قوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾<sup>(٢٨)</sup>، زيدت هنا ياء في قوله: ﴿أَفَأَيْنَ﴾، وهي في الرسم الإملائي تكتب هكذا: "أفإن" بدون ياء، والسر في زيادتها هنا التنبيه على أمر خفي تتضمنه الآية، فأسلوب الشرط هنا خرج عن المألوف، فموت النبي صلى الله عليه وسلم أمر مقطوع به، والشرط لا يكون مقطوعا به، ثم إن موت النبي صلى الله عليه وسلم لا يلزم منه خلود غيره، فجواب الشرط هنا غير مرتب على فعل الشرط، والتقدير: "أهم الخالدون إن مت؟"، فأسلوب الشرط هنا خرج عن معناه الأصلي إلى معنى آخر هو الاستفهام الإنكاري والنفي، فزيدت الياء في أداة الشرط: "إن" وأصبحت: "إين" للتنبيه على هذا المعنى الدقيق الخفي<sup>(٢٩)</sup>.

٢٥- سورة الأعراف، الآية: ١٤٥ .

٢٦- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٨٧، ٨٨، وغانم قدوري الحمد، رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، دار عمار للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ١٩٠.

٢٧- انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ج ٧، ص ٢٨٢.

٢٨- سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

٢٩- انظر: الصنهاجي، التبيان، ج ١، ص ٧٨، ٧٩، والزركشي، البرهان، ج ١، ص ٣٨٧، ٣٨٨.



هذا، وقد وجّه بعض العلماء<sup>(٣٠)</sup> ظاهرة زيادة الألف والواو والياء في الرسم العثماني توجيهها لغويا، فذهبوا إلى أن هذه الزيادة دلالة على أصل الحركة فزيادة الألف دلالة على الفتحة التي قبلها، وزيادة الواو دلالة على الضمة التي قبلها، وزيادة الياء دلالة على الكسرة التي قبلها، وذلك لأن الرسم العثماني كان خاليا من النقط والشكل.

والجواب على ذلك أن زيادة هذه الأحرف الثلاثة: (الألف والواو والياء) اقتضت على مواضع محددة للدلالة على أسرار بديعة، ولم تكن هذه الزيادة مطردة في جميع القرآن، فلو كان السر في زيادتها هو التوجيه اللغوي السالف الذكر لكان ذلك مطردا في الرسم العثماني جميعه.

#### ثالثاً: ظاهرة البدل

ويعد تناولنا لظاهرتي الحذف والزيادة نلقي الضوء الآن على ظاهرة البدل، فثمة مواضع في الرسم العثماني أبدلت فيها الألف واوا، كقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾<sup>(٣١)</sup>.

فقد أبدلت الألف واوا في لفظ ﴿الصَّلَاةَ﴾، والرسم الإملائي لها هكذا "الصلاة"، لكون الواو للتفخيم، فتعظيماً لأمر الصلاة وتقديساً لشأنها، وكونها عمود الإسلام، أبدلت الألف فيها واوا<sup>(٣٢)</sup>.

#### رابعاً: ظاهرة الهمز

نختم هذا المبحث بظاهرة الهمز، ويراد بها اختلاف رسم الهمزة في الرسم العثماني عن الرسم الإملائي لأسرار بديعة تنطوي عليها تلك الكلمات.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُونَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٣٣)</sup>، فكلمة ﴿عُلَمَتُونَا﴾ كتبت الهمزة فيها فوق واو، والأصل أن تكتب هكذا: "علماء"، وقد عضدت الهمزة بالواو هنا للدلالة على رفعة العلماء، وعلو مكانتهم، وأنهم هم المرجع في جزئيات العلم وكلياته، ولذلك جعلهم الله آية<sup>(٣٤)</sup>، فتعظيماً لمكانتهم لم توضع الهمزة على السطر بل وضعت فوق الواو التي تناسب الضمة.

٣٠- انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، ط ١،

١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج ٤، ص ٤٤٨، والزرقاني، مناهل العرفان، ج ١، ص ٢٥٩.

٣١- سورة البقرة، الآية: ٣.

٣٢- انظر: الصنهاجي، التبيان، ج ١، ص ٨٥، ٨٦، صابر حسن محمد أبو سليمان، مورد الظمان في علوم القرآن، الدار

السلفية، الهند، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٤٣.

٣٣- سورة الشعراء، الآية: ١٩٧.

٣٤- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٣٩.

المبحث الثالث: أثر تعدد مبنى اللفظ الواحد في الرسم العثماني في معاني الآيات

وبعد أن بيّنا في المبحث السابق الأسرار البديعة وراء اختلاف مبنى بعض الكلمات في الرسم العثماني عن الرسم الإملائي، نلقي الضوء في هذا المبحث على الكلمات التي تعدد مبناها داخل الرسم العثماني ذاته، وهذا التعدد قد يكون بالحذف أو الزيادة أو الإدغام أو الفصل والوصل أو المد والقبض.

أولاً: ظاهرة الحذف

وتتضمن هذه الظاهرة حذف الألف والنون والياء:

أ- حذف الألف

والمستقرئ للرسم العثماني يلاحظ أن ثمة كلمات حذفت ألفها في مواضع وأثبتت في أخرى، لعل تتعلق بسياق الآيات.

تأمل كلمة: "قرآن" في الآيات التالية: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣٥)</sup>، وقال سبحانه: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

نلاحظ أن الألف حذفت في موضع سورة يوسف: ﴿قُرْآنًا﴾، بينما أثبتت في موضع سورة فصلت: ﴿قُرْآنًا﴾، وذلك أن لفظ: "القرآن" في سورة يوسف جاء مرادفاً للفظ: "الكتاب"، وفيه معنى الإحكام، فحذفت الألف لأجل ذلك، فالضمير في لفظ: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعود إلى الكتاب الوارد في الآية التي قبله: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾<sup>(٣٧)</sup>، بينما موضع سورة فصلت أريد به التفصيل فأثبتت الألف لذلك<sup>(٣٨)</sup>.

والمراد بالإحكام والتفصيل: أن القرآن الكريم كتاب محكم لم ينسخ بكتاب بعده، فهو آخر الكتب، والمهيمن عليها، أما التفصيل فيقصد به نزول القرآن منجّماً، شيئاً فشيئاً<sup>(٣٩)</sup>، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِهِ، ثُمَّ فَصَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾<sup>(٤٠)</sup>.

٣٥- سورة يوسف، الآية: ٢.

٣٦- سورة فصلت، الآية: ٣.

٣٧- سورة يوسف، الآية: ١.

٣٨- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٦٥، والقسطلاني، لطائف الإشارات، ص ٢٨٧.

٣٩- الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٣٧٢.

٤٠- سورة هود، الآية: ١.

## ب- حذف النون

ثمة كلمات في الرسم العثماني حذفت نونها في مواضع وأثبتت في مواضع أخرى. والعلة في ذلك معنى الآية، فحينما تحذف تدل على صغر الشيء، وقبوله للنمو والزيادة بعد ذلك، بينما يدل إثباتها على كمال الشيء وتمامه.

تأمل هاتين الآيتين: قال تعالى: ﴿الَّذِي نُطِفَهُ مِنْ مِمِّي يَمِينًا﴾<sup>(٤١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضًا لَّهِ وَسِعَةً فَفُتِحُوا فِيهَا﴾<sup>(٤٢)</sup>، تجد النون قد حذفت من كلمة: ﴿يَكُ﴾ في الآية الأولى، بينما أثبتت في كلمة: ﴿تَكُنْ﴾ في الآية الثانية، والحذف في الأولى للتنبيه على صغر مبدأ الإنسان، وحقارته، فقد خلق من ماء مهين، ثم إنه يترقى بعد ذلك في أطوار التكوين، بينما علة الإثبات في الثانية هي تمام خلق الأرض وكمال ذلك<sup>(٤٣)</sup>.

## ج- حذف الياء

ونختم هذه الظاهرة بحذف الياء، فكما ذكرنا في حذف الألف والنون نذكر هنا أيضًا، فالياء تحذف في مواضع وتثبت في أخرى، لأسرار ترتبط بالمعنى.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَلِينَ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(٤٤)</sup>، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَسْتَلِينِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾<sup>(٤٥)</sup>، والناظر في هاتين الآيتين يجد أن الياء قد حذفت في سورة هود في قوله: ﴿تَسْتَلِينَ﴾، بينما أثبتت في سورة الكهف في قوله: ﴿تَسْتَلِينِي﴾، والسر في حذف الياء معقولية المسؤول عنه وغيبته، بينما السر في إثباتها حسية المسؤول عنه، وظهوره للعيان<sup>(٤٦)</sup>.

فآية هود تنطوي على نهي الله سبحانه وتعالى لنبيه نوح عليه السلام أن يسأله عن أسباب إغراقه لابنه، فقد طوى علم ذلك عنه وعن غيره من البشر<sup>(٤٧)</sup>، أما آية الكهف فالأشياء المسؤول عنها هي: خرق

٤١- سورة القيامة، الآية: ٣٧.

٤٢- سورة النساء، الآية: ٩٧.

٤٣- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ١٠٦، ١٠٧، والصنهاجي، التبيان، ص ٨٤، ٨٥.

٤٤- سورة هود، الآية: ٤٦.

٤٥- سورة الكهف، الآية: ٧٠.

٤٦- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٩٤، والزركشي، البرهان، ج ١، ص ٣٩٩.

٤٧- انظر: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت،

١٤٠٥هـ، ج ١٢، ص ٥٤.

السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وكلها أمور حسية، شاهدها موسى عليه السلام مع الخضر.

### ثانيًا: ظاهرة الزيادة

وتشتمل هذه الظاهرة على زيادة الألف والياء:

#### زيادة الألف

قال تعالى: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾<sup>(٤٨)</sup>، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤٩)</sup>، وبالمقارنة بين الآيتين نجد أن كلمة: "شيء" قد زيدت فيها ألف في آية سورة الكهف: ﴿لِشَيْءٍ﴾، بينما كتبت بغير ألف في آية سورة النحل: ﴿لِشَيْءٍ﴾، وسر الزيادة في الأولى هو حسية الشيء وظهوره للعيان، بينما السر في الثانية هو غيبية الشيء واستثثار الله تعالى بعلمه<sup>(٥٠)</sup>.

#### زيادة الياء

جاءت كلمة: "أيد" بياء زائدة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾<sup>(٥١)</sup>، بينما جاءت بياء واحدة في قوله سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٥٢)</sup>، وذلك للتفريق بين يد الله سبحانه وتعالى وأيدي المخلوقين، ولإعطاء لون من العظمة والتقديس ليد الله سبحانه وتعالى، فدلّت زيادة المبنى على زيادة المعنى<sup>(٥٣)</sup>.

#### ثالثًا: ظاهرة الإدغام

والمتأمل في هذه الظاهرة في الرسم العثماني يجد أن النون الساكنة تدغم مع ما بعدها لفظًا، وقد أدغمت خطأ أيضًا في مواضع في الرسم العثماني، بينما اكتفي بإدغامها لفظًا في مواضع أخرى لعل تتعلّق بالسياق.

تأمل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾<sup>(٥٤)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ لَكُمْ

٤٨- سورة الكهف، الآية: ٢٣.

٤٩- سورة النحل، الآية: ٤٠.

٥٠- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ٦٢، ٦٣، والصنهاجي، التبيان، ج ١، ص ٧٦.

٥١- سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

٥٢- سورة ص، الآية: ١٧.

٥٣- الصنهاجي، التبيان، ج ١، ص ٧٩.

٥٤- سورة هود، الآية: ١٤.

يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمَ أَنَّهَا يَنْبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴿٥٥﴾، تجد أن "إن" الشرطية قد أدمغت نونها في سورة هود، لأن جواب الشرط متعلق بأمر غيبي معقول، وهو إنزال القرآن الكريم بعلم الله سبحانه وتعالى، فناسب غياب النون غيبية جواب الشرط.

أما في سورة القصص فلم تدغم نون "إن" الشرطية، لأن جواب الشرط شيء ظاهر محسوس، وهو اتباعهم أهواءهم، فناسب ظهور جواب الشرط ظهور النون (٥٦).

والناظر في قول الله سبحانه: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَّ عِظَامَهُ﴾ (٥٧)، وقوله عز وجل: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ (٥٨)، يجد أن الآيتين تتحدثان عن إنكار البعث بعد الموت، إلا أن الآية الأولى جاء الفعل فيها مبنيا للمعلوم: ﴿نَجْمَعَّ﴾ منسوبا إلى الله سبحانه وتعالى، فأدمغت نون التوكيد في حرف النفي دلالة على شدة إنكار ذلك الزعم، بينما جاء الفعل مبنيا للمجهول: ﴿يُبْعَثُوا﴾ في الآية الثانية، فناسب ذلك إظهار نون التوكيد (٥٩).

أما قوله سبحانه: ﴿أَمْ نَشِئُ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦٠)، وقوله: ﴿أَمْ مَن يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٦١)، فالإدغام في آية الملك دلالة على أن الذي يمشي على صراط مستقيم هو نوع واحد، وهو المؤمن الذي يبصر الطريق، مقارنة بالكافر الذي يمشي مكبا على وجهه متخبطا، بينما آية فصلت تشتمل على أنواع متعددة: النبي صلى الله عليه وسلم، والمبشرون بالجنة، وغيرهم، فناسب ذلك عدم الإدغام خطأ (٦٢).

- 
- ٥٥ - سورة القصص، الآية: ٥٠.
- ٥٦ - انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ١٣١ - ١٣٤. وفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج ١٧، ص ١٥٧، ١٥٨.
- ٥٧ - سورة القيامة، الآية: ٣.
- ٥٨ - سورة التغابن، الآية: ٧.
- ٥٩ - انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ١٣٤، ١٣٥، والزركشي، البرهان، ج ١، ص ٤٢٦.
- ٦٠ - سورة الملك، الآية: ٢٢.
- ٦١ - سورة فصلت، الآية: ٤٠.
- ٦٢ - انظر: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ، ج ٧، ص ٢٦١، ج ٨، ص ٣٢٣، والمراكشي، عنوان الدليل، ص ١٢٩، وإيهان جواد صادق النجار، تجاور الأدوات النحوية وأثره في الإعراب والرسم، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية اللغة العربية، الرقم الجامعي: ٨٧٠٥٣ - ٤١٨، ص ٥٤٦، ٥٤٧.

## رابعاً: ظاهرة الفصل والوصل

وهذه الظاهرة لها صور عديدة في الرسم العثماني، منها:

### أ- فصل ووصل لام الجر مع الاسم المجرور

وقد فصلت لام الجر عن الاسم المجرور في مواضع، ووصلت في أخرى:

والأصل أن لام الجر توصل بالاسم المجرور كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَشْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾<sup>(٦٣)</sup>، فلفظ ﴿لَكُمْ﴾ اتصلت فيه لام الجر بالاسم المجرور "كم"، والخطاب هنا للمؤمنين، فالله سبحانه وتعالى يمجدهم من التشبه بالكفار الذين حرموا على أنفسهم الكثير من الأطعمة التي أباحها الله عز وجل، فأمرهم سبحانه بالأكل مما أباحه الله من الطيبات التي ذكر عليه اسم الله سبحانه عند الذبح<sup>(٦٤)</sup>.  
إلا أن لام الجر قد فصلت عن الاسم المجرور في مواضع، للدلالة على معنى معين، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ﴾<sup>(٦٥)</sup>، فقد قطع الكفار وصل قلوبهم بالنبى صلى الله عليه وسلم، فقطع الله سبحانه وتعالى طمعهم في دخول الجنة، وقطعت لام الجر في الخط دلالة على هذا المعنى<sup>(٦٦)</sup>، حيث قال تعالى: ﴿أَطْمَعُ كُلُّ أُنْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾<sup>(٦٧)</sup>.

ومهطعين: أي: مسرعين، والمعنى: أن الكفار كانوا يسرعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمدون أعناقهم إليه، ويقبلون بأبصارهم عليه، يستمعون إليه، كي يستهزؤوا بحديثه، وكانوا يجلسون حوله حلقة حلقة، ويقولون مستهزئين: "إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم"<sup>(٦٨)</sup>.

### ب- فصل ووصل "أم" مع "ابن"

من صور الفصل والوصل أيضاً: فصل ووصل "أم" مع "ابن" تأمل قول الله تعالى: ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّ

٦٣- سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

٦٤- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٧١.

٦٥- سورة المعارج، الآية: ٣٦.

٦٦- انظر: إيهان جواد صادق النجار، تجاور الأدوات النحوية وأثره في الإعراب والرسم، ص ٥٣١.

٦٧- سورة المعارج، الآية: ٣٨.

٦٨- انظر: الألوسي، روح المعاني، ج ٢٩، ص ٦٤، ٦٥.

إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ﴿٦٩﴾، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ ﴿٧٠﴾، والنداء في الآيتين جاء على لسان هارون عليه السلام، وذلك عندما أخذ موسى عليه السلام برأسه يجره إليه، فناداه في آية الأعراف بدون أداة نداء، لقربه منه، وجاءت: ﴿أَبْنَ﴾ مفصولة عن: ﴿أُمَّ﴾ على الأصل. وأما آية طه فلما استمر موسى عليه السلام في جره ناداه بأداة نداء للتثنية على بعده عنه في الحال، وإن كان قريبا منه في المكان، ثم وصل: ﴿أَبْنَ﴾ بـ ﴿أُمَّ﴾ هكذا: ﴿يَبْنَؤُمْ﴾ ليؤكد وصلة الرحم بينهما بهذا الوصل في الخط (٧١).

وكان ذلك عندما ذهب موسى عليه السلام إلى جبل الطور ليكلم ربه ويناجيه، ويعود إلى قومه بالتوراة، تاركا هارون عليه السلام معهم، فعندما عاد إليهم، اندهش من عبادتهم للعجل، وجذب هارون عليه السلام من شعر رأسه، تعنيفا له على عدم نهيهم عن عبادة العجل، فلما بين له هارون عليه السلام أنهم استضعفوه حتى كادوا يقتلونه ساعجه وتركه، ودعا لنفسه ولأخيه بالمغفرة ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٧٢﴾.

### ج- فصل ووصل: "لا" مع "كي"

من الصور أيضًا: فصل ووصل: "لا" مع "كي"، ونلاحظ أن الوصل يكون عند دخول حرف النفي على معنى كلي، وعلة الوصل هنا هو أن نفي الكل نفي لجميع أجزائه، أما الفصل فيكون عند دخول حرف النفي على معنى جزئي، ونفي الجزء لا يفهم منه نفي الكل (٧٣).

قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ﴿٧٤﴾، وقال سبحانه: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ ﴿٧٥﴾.

٦٩- سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

٧٠- سورة طه، الآية: ٩٤.

٧١- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ١٢٧، والزرکشي، البرهان، ج ١، ص ٤٢٣.

٧٢- سورة الأعراف، الآية: ١٥١، انظر: الزرخشري، الكشف، ج ٢، ص ١٥٢، ١٥٣.

٧٣- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ١٢٤.

٧٤- سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

٧٥- سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

نلاحظ أن الآية الأولى أُطلق فيها لفظ: ﴿حَرَجٌ﴾، بينما قيد في الآية الثانية، فعندما أُطلق وصلت

"كي" بـ "لا" هكذا: ﴿لِكَيْلًا﴾، وعندما قيد فصلت "كي" عن "لا" هكذا: ﴿لِكَيْ لَا﴾.

وذلك أن الله سبحانه وتعالى في الآية الأولى قد رفع الحرج عن النبي صلى الله عليه وسلم بشكل عام وشامل في الزواج مما أبيض للمؤمنين، وكذلك مما اختصه الله به من دون المؤمنين: فأباح له الزواج من الزوجات اللاتي أعطاهن مهورهن، وكذلك أباح له ملك اليمين، وبنات العم والعممة، وبنات الخال والخالة، وهذه الأنواع كلها أبيضت للمؤمنين أيضًا، ثم اختصه الله سبحانه وتعالى دون المؤمنين بالنساء اللاتي يهبن أنفسهن له<sup>(٧٦)</sup>، وجاءت الآية شاملة لكل ذلك، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِيَّاتِ أَتَيْتِ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِيَّاتِ هَاجِرَاتٍ مَعَكَ وَأُمَّرَاتٍ مَوْمِنَاتٍ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِنَّ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٧٧)</sup>.

فناسب نفي الحرج عن النبي صلى الله عليه وسلم في الزواج بصورة مطلقة وصل "لا" بـ "كي".

أما الآية الثانية فنفي الحرج فيها عن المؤمنين مقيد بإحدى حالات الزواج، وهي زواج المتبني من زوجة من تبناه، بشرط أن يكون قد طلقها، وانتهت عدتها، وذلك حيث أن الله سبحانه وتعالى قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بزينة بنت جحش رضي الله عنها وقد كانت زوجة زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي كان قد تبناه النبي صلى الله عليه وسلم قبل تحريم التبني<sup>(٧٨)</sup>.

فناسب تقييد رفع الحرج عن المؤمنين بإباحة حالة محددة من حالات الزواج، وبشرط معين ناسب

ذلك فصل "لا" عن "كي".

د- فصل ووصل "ما" مع ما قبلها

نختم هذه الظاهرة بفصل ووصل "ما" مع ما قبلها: والمستقرى مواضع فصل ووصل "ما" مع

ما قبلها يلاحظ أنها تفصل إذا كانت تدل على أقسام وتفصيل، بينما توصل إذا دلت على شيء واحد<sup>(٧٩)</sup>.

٧٦- انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ج ١، ص ٦٦٩.

٧٧- سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

٧٨- انظر: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج ٧، ص ٢٢٧.

٧٩- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ١٢٠ - ١٢٤.



وسأضرب لذلك مثالين؛ أولاً: فصل ووصل "ما" مع "كل": قال تعالى: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾<sup>(٨٠)</sup>، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾<sup>(٨١)</sup>. وقد فصلت "ما" عن "كل" في آية المؤمنون، لأن "ما" تقع على لفظ "أمة"، والأمم متنوعة ومتعددة، فناسب ذلك التنوع الفصل هنا، والمراد: أنه كلما أرسل الله سبحانه وتعالى رسولا إلى أمة ما كذبتة، ثم يرسل رسولا آخر إلى أمة أخرى فتكذبه أيضاً، وهكذا.

بينما في آية المائدة وقعت "ما" على ضمير الغائب في لفظ ﴿جَاءَهُمْ﴾، ويقصد بهم بنو إسرائيل، وهم أمة واحدة، فناسب ذلك الوصل هنا، والمراد أن بني إسرائيل كلما أرسل إليهم رسول كذّبوه، فتعددت الرسل لأمة واحدة.

ثانياً: فصل ووصل "ما" مع "بئس": قال سبحانه: ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾<sup>(٨٢)</sup>، وقال عز وجل: ﴿وَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي آلَائِهِمُ الْعُدُونَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لِيَتَّسِرَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٨٣)</sup>.

التأمل في الآيتين يلحظ أن أسلوب الذم قد اختلف لاختلاف المذموم: ففي الموضع الأول انصب الذم على شيء واحد، وهو عبادة بني إسرائيل للعجل، فوصلت "ما" بـ "بئس" هكذا: ﴿بئسَمَا﴾. بينما وقع الذم في الآية الثانية على ثلاثة أمور: المسارعة في الإثم، والمسارعة في العدوان، وأكل السحت، والإثم يتعلق بالخالق، بينما العدوان يتعلق بالمخلوقين، والسحت هو الحرام<sup>(٨٤)</sup>، فناسب السياق فصل "ما" عن "بئس" هكذا: ﴿لِيَتَّسِرَ مَا﴾.

#### خامساً: ظاهرة المد والقبط

نختم هذا المبحث بظاهرة: "مد التاء وقبضها"<sup>(٨٥)</sup>، والمستقرئ لمواضع هذه الظاهرة يلاحظ أن المواضع التي مدت فيها التاء قد تعلق السياق فيها بأمر محسوس أو معقول، لكنه غير غيبي، بينما المواضع

٨٠- سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

٨١- سورة المائدة، الآية: ٧٠.

٨٢- سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

٨٣- سورة المائدة، الآية: ٦٢.

٨٤- انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ج ١، ص ٢٣٧.

٨٥- والمراد بمد التاء أنها تأتي مفتوحة هكذا: "ت"، وأما قبض التاء فيُقصد بها كتابتها مربوطة هكذا: "ة".

التي قبضت فيها التاء كانت متعلقة بأمر غيبي<sup>(٨٦)</sup>.

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها مثالين؛ أولهما: مد التاء وقبضها في لفظ "نعمة": قال تعالى:

﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾<sup>(٨٧)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾<sup>(٨٨)</sup>.

تأمل الآيتين تجد الأولى مدّت فيها التاء هكذا: ﴿نِعْمَتَ﴾، وذلك لأن النعمة هنا يقصد بها النعم الموجودة لدى الإنسان، وهي على كثرتها لا يستطيع الإنسان إحصاءها، ومع ذلك يكفر بها، فناسب ذلك مد التاء، والذي يدل على أن السياق متعلق بما ذكرت ختام الآية، وهو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾<sup>(٨٩)</sup>.

أما الآية الثانية فقد قبضت فيها التاء هكذا: ﴿نِعْمَةً﴾، وذلك لأن المراد بالنعمة هنا تلك النعم الغيبية التي لا نعلمها، وهي أكثر من أن تحصى أيضًا، فناسب تلك الغيبية وذلك الغموض قبض التاء، ويؤيد ذلك ما ختمت به الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٩٠)</sup>.

إذًا، تعلق السياق في الآية التي مدت فيها التاء بالإنسان، بينما تعلق في الآية التي قبضت فيها التاء

بالله تعالى.

والمثال الثاني: مد التاء وقبضها في لفظ "قرة":

قال الله تعالى: ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَكَأَنَّ﴾<sup>(٩١)</sup>، وقال عز وجل: ﴿قُرْءَ أَعْيُنٍ﴾<sup>(٩٢)</sup>، وبالمقارنة بين

الموضعين نجد آية القصص قد مدت فيها التاء، بينما قبضت في آية السجدة، وذلك أن الموضع الأول يقصد به سيدنا موسى عليه السلام، بينما يقصد بالموضع الثاني نعيم الجنة، فموسى عليه السلام نعمة موجودة

٨٦- انظر: المراكشي، عنوان الدليل، ص ١٠٩-١١٨.

٨٧- سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

٨٨- سورة النحل، الآية: ١٨.

٨٩- سورة إبراهيم، الآية: ٣٤، انظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٣، ص ٢٢٧-٢٢٩، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، ج ١٣، ص ٢٣٤.

٩٠- سورة النحل، الآية: ١٨، انظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ٤، ص ٢٥٦.

٩١- سورة القصص، الآية: ٩، والآية بأكملها: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٩٢- سورة السجدة، الآية: ١٧، والآية بأكملها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

محسوسة ناسبها مد التاء، بينما نعيم الجنة غيبي مدخر في الآخرة فناسبه قبض التاء<sup>(٩٣)</sup>.

هذا، وما كان مني من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل فمني ومن الشيطان، والله أسأل أن أكون قد وفقت فيما كتبت، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

وأختم هذا البحث بجملته من النتائج والتوصيات التي خرجت بها:

أما النتائج فألخصها فيما يلي:

أولاً: يرى الباحث استبدال مصطلح "ظواهر الرسم العثماني" بمصطلح "قواعد الرسم العثماني"، فالرسم العثماني توقيفي من الله سبحانه وتعالى وبه ظواهر تستحق الدراسة، للكشف عن أسرارها، ومصطلح "القواعد" يوهم بأن الرسم اجتهادي، ووضعت ست قواعد سار عليها الصحابة في الكتابة.

ثانياً: الرسم العثماني توقيفي من الله سبحانه وتعالى، وثمة علاقة وثيقة بين مبنى اللفظة ومعناها وسياق الآية، فالتوجيهات الإعجازية للرسم العثماني تكشف عن بعض أسرار الكتاب العزيز.

ثالثاً: أثبت البحث أن الرسم العثماني له ثمان ظواهر، منها ست ظواهر نصت عليها المراجع الحديثة للرسم العثماني، وهي: الحذف، والزيادة، والبدل، والهمز، والفصل والوصل، واستيعاب اللفظة لأكثر من قراءة.

وقد أضاف البحث ظاهرتين جديدتين هما: المد والقبض، والإدغام.

رابعاً: أثبت البحث أن ظواهر الرسم العثماني ليست مجرد قواعد ست اختلف فيها مع الرسم الإملائي كما صرحت بذلك مراجع الرسم العثماني، بل إن ثمة ظواهر داخل الرسم العثماني ذاته، فاللفظة الواحدة قد يختلف معناها داخل الرسم العثماني.

وأما توصيات البحث

فيوصي البحث بإفراد كل ظاهرة من ظواهر الرسم العثماني بدراسة مستقلة مستفيضة يتم فيها استقراء جميع الأمثلة المندرجة تحتها، فثمة مادة وفيرة جدا تستحق الدراسة وتسليط الضوء عليها.

\*\*\*

٩٣- انظر: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٤، ص٢٥٠، والألوسي، روح المعاني، ج٢٠، ص٤٧، ٤٨.